ذاكرة الألم في العراق

وقائع المؤتمر الدولي الثاني

16-17 نيسان 2025م

المجلد الثالث

هوية الكتاب

وقائع المؤتمر الدولي الثاني ذاكرة الألم في العراق

قرن من الجرائم والإبادة الجماعية والمجازر والانتهاكات

المشرف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري – الدكتور. عباس عطية القريشي

تحرير: أ.د. قيس ناصر راهي – د. ثائر غالب الخيكاني

المؤلف : مجموعة مؤلفين

الناشر: المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف/ العتبة العباسية المقدسة

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

سنة الطبع: 2026م

الترقيم الدولي: 978-9922-262-02-4

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية: 124/ 2026

التدقيق اللغوي: أ.د. مصعب مكي زبيبة

الإخراج الفني: كاظم سعيد الفتلاوي

حجم الكتاب: 190×270

عدد الصفحات:542

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب من دون إذن خطي مسبق من المركز

تنبيه:إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر .

المحتويات

المحور الثامن: جرائم الارهاب بعد ٢٠٠٣م ٧

التوزيع الجغرافي لضحايا الإرهاب في العراق للمدة ٢٠٠٣-٢٠٢٤م ٩

الانتهاكات الإرهابية ضدّ المكون التركماني في تلّعفر بعد (٢٠٠٣م) ٣٧

جريمة سجن بادوش بوصفها جريمة ضد الإنسانية: في ضوء الاتفاقيات الدولية والدستور العراقي ٨١

استخدام داعش للأسلحة الكيميائية في تازة خورماتو: دراسة تحليلية لتداعيات الهجوم وآثاره ١٠٣

مدينة آمرلي بين نار الإرهاب وألم الصمود: دراسة في تداعيات حصار ٢٠١٤م ١٣١

جرائم الإرهاب على الموروث الثقافي في قضاء الحمدانية/ نينوى(٢٠١٤-٢٠١٦م) نماذج منتخبة ١٤٥

جرائم تنظيم داعش في نينوى (٢٠١٤ – ٢٠١٦م) دراسة وثائقية في تقارير المفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق ١٦٣

Semiotic Propaganda of ISIS and its Impact on Components of Iraqi People ١٨٧

المحور التاسع: ذاكرة الألم في الحروب ونتائجها **٢١٣**

الحروب وأثرها في تفكيك الهوية الوطنية (التشظي والضياع والأنوية) ٢١٥

الحروب في حقبة نظام البعث وتداعياتها على حقوق الإنسان في العراق (١٩٦٨م – ٢٠٠٣ م) ٢٣٥

الحربُ العراقيَّة الإيرانيّة وآثارها المجتمعيَّة ٢٥٥

Nothing Ever Dies: War Trauma and The Psychological Consequences of The Iran-Iraq War ٢٧٦

المحور العاشر: ذاكرة الألم والهوية الوطنية والسلم المجتمعي **٢٨٥**

تجاوز آلام الماضي وبناء الهُوية الوطنية في العراق: دراسة في ضوء نظرية لوغرثيرابي (العلاج بالمعنى) ٢٨٧

الجرح الثقافي وإعادة تشكيل الهوية الجماعية في المجتمع العراقي ٣١٣

أثر التنظيمات الإرهابية على السلم الأهلي والمجتمعي في العراق بعد عام ٢٠٠٣م ٣٤١

داعش بين التمدد والانحسار وأثر ذلك على النسيج الاجتماعي (قراءة أنثروبولوجية) ٣٦٣
أثر البرنامج الإرشادي بأسلوب ملء الفراغ في خفض ألم الفقد لدى أبناء ضحايا الإرهاب ٣٨٥
المحور الحادي عشر: دور الفنون والأدب في توثيق ذاكرة الألم ٤٢٩
دور السينما في توثيق جريمة سبايكر وأثر ذلك على الوعي المجتمعي والذاكرة الجمعية ٤٣١
دور الفنون في توثيق حالات الألم في العراق (نصب الحرية أنموذجاً) ٤٦١
بنية الزمن السردي في رواية الفتيت المبعثر لمحسن الرملي (بناء على نظرية جيرار جنيت) ٤٨٧

استخدام داعش للأسلحة الكيميائية في تازة خورماتو: دراسة تحليلية لتداعيات الهجوم وآثاره

(1) محمد علي نصرت – مؤسسة الذروة للتنمية المستدامة

(2) م.د. مهدي سعدون جعفر – مؤسسة إنقاذ التركمان

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الهجوم الكيميائي الذي نفّذه تنظيم داعش في ناحية تازة خورماتو بمحافظة كركوك عام 2016، والذي استُخدم فيه غاز الخردل (Mustard Gas) أو مشتقاته، وفقاً لمؤشرات طبية وبيئية مختصة. يستعرض البحث الإطار النظري والقانوني للأسلحة الكيميائية، وكيفية حصول الجماعات الإرهابية عليها، مع تحليل الآثار المباشرة على السكان المحليين من الناحية الصحية والنفسية والبيئية، وكذلك الأبعاد القانونية والدولية للتعامل مع هذا النوع من الجرائم. اعتمدت الدراسة على منهجية تحليلية وصفية استناداً إلى تقارير حكومية ودولية، وشهادات شهود عيان. خلصت النتائج إلى أنَّ استخدام الأسلحة الكيميائية في النزاعات غير المتكافئة يشكّل تهديداً خطيراً لأمن المجتمعات واستقرارها، ويؤكد الحاجة إلى تعزيز آليات الرقابة الدولية، وتكثيف التعاون الأمني والإنساني لمنع وصول المواد الكيميائية إلى أيدي الجماعات الإرهابية.

الكلمات المفتاحية: الأسلحة الكيميائية، داعش، غاز الخردل، تازة خورماتو، العراق، كركوك.

Abstract

This study aims to shed light on the chemical attack carried out by ISIS in the Taza Khurmatu sub-district of Kirkuk Province in 2016، in which mustard gas (Mustard Gas) or its derivatives were used، according to specialized medical and environmental indicators. The research outlines the theoretical and legal framework for chemical weapons، how terrorist organizations acquire them، and analyzes the direct impact on the local population in terms of health، psychological، and environmental effects. It also examines the legal and international dimensions of dealing with such crimes.

The study adopts a descriptive analytical methodology based on government and international reports، as well as eyewitness testimonies. The findings conclude that the use of chemical weapons in asymmetric conflicts poses a serious threat to community security and stability. The study underscores the need to strengthen international monitoring mechanisms and intensify security and humanitarian cooperation to prevent chemical materials from falling into the hands of terrorist groups.

Keywords: Chemical weapons، ISIS، mustard gas، Taza Khurmatu، Iraq، Kirkuk.

المقدّمة

تعرضت في عام 2016 ناحية تازة خورماتو في العراق، وهي مدينة عراقية ذات هوية تركمانية، تقع جنوب مدينة كركوك في محافظة كركوك، لواحدة من أبشع الهجمات التي شهدتها المنطقة؛ إذ استخدم تنظيم داعش الأسلحة الكيميائية كوسيلة لترهيب السكان وزعزعة الأمن والاستقرار. هذا الهجوم لم يكن مجرد اعتداء على الأفراد، بل كان استهدافًا للقيم الإنسانية الأساسية؛ مما أظهر مدى تطور استراتيجيات التنظيم الإرهابي في استخدام التكنولوجيا الحديثة لتحقيق أهدافه الإجرامية.

تُعد الأسلحة الكيميائية من أخطر أشكال الحرب، إذ تترك آثارًا مدمرة على الصحة العامة والبيئة، وتؤدي إلى معاناة طويلة الأمد للضحايا. إن استخدام هذه الأسلحة في نزاع مسلح يثير تساؤلات جدية حول التزامات المجتمع الدولي في مواجهة هذا النوع من الجرائم، ويبرز الحاجة الملحة لوضع آليات فعالة لمحاسبة الجناة.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تفاصيل الهجوم الكيميائي في ناحية تازة خورماتو، وآثاره الإنسانية والصحية والقانونية، مع تحليل الجهود المحلية والدولية المبذولة لمحاسبة مرتكبي هذه الجريمة وفقًا للأطر القانونية الدولية، بما يسهم في تعزيز العدالة وإنصاف الضحايا.

المبحث الأول

منهجية الدراسة

1.1. مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة بالبحث في مدى تأثير الهجوم الذي نفذه تنظيم داعش بالأسلحة الكيميائية على المدنيين في ناحية تازة خورماتو، من حيث الأضرار الصحية والنفسية والاجتماعية الناتجة عنه، وما مدى جاهزية الجهات الحكومية والدولية في تقديم الإغاثة اللازمة، فضلاً عن فعالية القوانين والتشريعات في محاسبة المسؤولين عن هذه الانتهاكات. وانطلاقاً من ذلك؛ تسعى الدراسة للإجابة على التساؤلات الآتية:

- كيف تؤثر الهجمات الكيميائية على المدنيين من النواحي الصحية والنفسية والبيئية على المدى القصير والطويل؟
- ما مدى جاهزية المؤسسات الحكومية والدولية للتعامل مع مثل هذه الهجمات وتقديم الإغاثة الطبية والإنسانية الفعّالة؟
- إلى أي مدى تتسم الأطر التشريعية والقانونية بالكفاية لملاحقة المسؤولين عن هذه الجرائم ومحاسبتهم؟

2.1. أهداف الدراسة

- التعرّف على طبيعة الهجوم الكيميائي في ناحية تازة خورماتو وخصائص المادة المستخدمة (غاز الخردل).
- دراسة الأبعاد الصحية والإنسانية والبيئية المترتّبة على الهجوم، مع تسليط الضوء على الحالات المرضية والنفسية الناتجة.
- تحليل الأبعاد القانونية والدولية، بما يشمل التقارير المحلية والدولية بشأن حظر الأسلحة الكيميائية واحتمالية ملاحقة المتورطين.

3.1. أهمية الدراسة

- **صحياً**: إبراز المخاطر الصحية والنفسية والبيئية الناتجة عن استخدام الأسلحة الكيميائية وآثارها على المتضررين.
- **أكاديمياً**: تسهم الدراسة في توثيق فصل مهم من انتهاكات تنظيم داعش لحقوق الإنسان في تاريخ العراق المعاصر.
- **حقوقياً**: التأكيد على الانتهاكات لحقوق الإنسان وأهمية ملاحقة العصابات المرتكبة للجرائم قضائياً لضمان العدالة ومنع التكرار.

4.1. فرضية الدراسة:

- استخدام داعش لغاز الخردل في تازة خورماتو تسببت في إصابات صحية وبيئية خطيرة، وآثارها مستمرة.
- ارتفاع معدلات الإصابة بالأمراض والمشكلات النفسية بين السكان المتضررين.
- ضعف البنى التحتية والإمكانات الطبية فاقم الأضرار وحدّ من الاستجابة الطارئة.
- تدهور البيئة المحلية والزراعة نتيجة التلوث الكيميائي.

5.1. الأسلوب المنهجي للدراسة

هنالك العديد من المناهج التي يمكن للباحث اتباعها أثناء الدراسة، لكن طبيعة وأهداف هذه الدراسة يحددان الباحث على استخدام هذا النوع من المناهج في الدراسة؛ لذلك عمد الباحثان في هذه الدراسة بشكل رئيسي على منهج دراسة الحالة والاعتماد فرعياً على المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه يكشف لنا قرب الواقع الحقيقي والفعلي لأوضاع المدنيين المصابين من خلال جمع البيانات الأولية والثانوية المتعلقة بالهجوم، ثم تحليلها في ضوء الإطار النظري والقانوني للأسلحة الكيميائية.

6.1. مصادر البيانات

بيانات أولية (Primary Data) :

- مقابلات مع عدد من الأهالي المصابين وشهود العيان في ناحية تازة خورماتو، بهدف استيضاح تفاصيل الهجوم وآثاره المباشرة.
- تصريحات المسؤولين المحليين والمنظمات غير الحكومية والكوادر الطبية التي عالجت المصابين.

بيانات ثانوية (Secondary Data):

- وثائق محلية حكومية حول الحادثة، بما في ذلك تقارير وزارتي الصحة والداخلية العراقية.
- تقارير دولية مثل تقرير فريق التحقيق التابع للأمم المتحدة لتعزيز المساءلة عن الجرائم المرتكبة من قبل داعش (UNITAD) وتقارير المفوضية العليا لحقوق الإنسان (IHCHR)، وتقارير منظمة حظر الأسلحة الكيميائية (OPCW).

7.1. حدود الدراسة

- **الحدود الزمانية:** تركز الدراسة على حادثة في مارس/ آذار 2016 وما تلاها من تداعيات حتى نهاية عام 2017.
- **الحدود المكانية:** تنحصر في ناحية تازة خورماتو والمنطقة المحيطة بها في محافظة كركوك، حدود جغرافية للدراسة، وذلك بأن تازة خورماتو هي المدينة الوحيدة التي استخدم فيها داعش السلاح الكيمياوي في العراق.
- **الحدود البشرية:** المتضررون من جرائم داعش، والمصابون، وشهود العيان في ناحية تازة خورماتو، وأصحاب المصلحة.

المبحث الثاني

خلفية تاريخية وجغرافية عن تازة خورماتو

1.2. الموقع والأهمية

تازة خورماتو أو تازة مدينة عراقية، تقع جنوب مدينة كركوك في محافظة كركوك، وتبعد عنها (20 كم). تسكن تازة خورماتو غالبية تركمانية، وأكثرية سكان القرى التابعة لها من القومية التركمانية، ومرتبطة إداريا بمركز قضاء كركوك، وتحدها من الشرق ناحية ليلان، ومن الجنوب الغربي ناحية الرشاد، ومن الشمال الغربي ناحية يايجي ومن الجنوب قضاء داقوق، تمر من تازة الطريق الرئيس كركوك – بغداد. في الناحية حوالي عشرين قرية من القوميتين العربية والتركمانية وأشهر قراها (قرية بيشير) وقرية (جرداغلو). وتتميز المنطقة بطبيعة تضاريسية شبه سهلية مع وجود بعض التلال والمرتفعات الخفيفة، وتُعتبر أراضيها خصبة نسبياً، ما يجعلها مناسبة للزراعة "(1). وتسمية تازة خورماتو هي كلمة تركمانية مركبة من كلمتين. "تازة" تعني الجديد باللغة التركية، أما «خورماتو» أو «خورماتى» تعني «التمر الكثير» أو «مدينة التمور»، وهي تسمية شائعة في المناطق التركمانية في العراق (2). وتعتبر مدينة تازة خورماتو مركز استيطان قديم، إذ توجد فيها الآثار التاريخية التي تعود إلى العصرين الأشوري والإسلامي، وقسم منها يعود إلى الحقبة الصفوية، وهنالك إشارات لوجود بعض الآثار القديمة تعود إلى الوجود الأورخوني (3).

2.2. الوضع الأمني قبل الهجوم

تُعَدُّ ناحية تازة خورماتو، الواقعة جنوب مدينة كركوك في العراق، واحدة من المناطق ذات الأغلبية التركمانية. تأسست كناحية رسمياً بموجب المرسوم الجمهوري العراقي رقم (635) الصادر في 26 أكتوبر 1960. خلال مدة حكم صدام حسين، تعرضت تازة خورماتو لسياسات

(1) طه باقر، فؤاد سفر.1965. المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الخامسة: بغداد، كركوك، السليمانية. ص7.

(2) ساعتجي، صبحي.2010. القبائل والعشائر التركمانية في العراق ومناطق سكناهم. مؤسسة وقف كركوك، الطبعة الأولى، العراق، كركوك، ص138.

(3) فلاح يزاراوغلو. 2009. «ناحية تازة خورماتو مدينة البساتين الكروم والزيتون». مجلة قارداشلق، العدد 42، نيسان، حزيران 2009، ص55–56.

قمعية واضطهاد استهدفت سكانها لأسباب طائفية وقومية، بدأت هذه الممارسات في عام 1980؛ إذ شملت إعدام وسجن وملاحقة العديد من شباب الناحية، واستمرت هذه السياسات بعد الانتفاضة الشعبانية عام 1991 وحتى سقوط النظام في عام 2003. وبعد سقوط النظام عام 2003، استمرت معاناة تازة خورماتو من الهجمات الإرهابية ففي 20 يونيو/ حزيران 2009، شهدت الناحية تفجيراً انتحارياً بشاحنة مفخخة قرب جامع وحسينية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في محلة عاشور وسط السوق؛ مما أدى إلى استشهاد (89) شخصاً وإصابة أكثر من 200 آخرين، معظمهم من النساء والأطفال، بالإضافة إلى تدمير مئات المنازل والمحلات التجارية (1).

ومع ظهور تنظيم داعش وسيطرته على مناطق واسعة من شمال العراق في منتصف عام 2014، تعرضت ناحية تازة خورماتو لهجمات إرهابية عدة، وشهدت المنطقة مواجهات عسكرية متقطعة بين القوات العراقية الماسكة للأرض وعناصر داعش، خاصة في أطراف المدينة وأثناء تحرير قرية البشير التركمانية التي سقطت بيد داعش؛ مما أدى إلى نزوح أهلها إلى تازة خورماتو ومركز محافظة كركوك، وتزامن ذلك مع استهداف متكرر للناحية بالصواريخ التقليدية؛ مما هيّأ الأرضية لتصعيد خطير باستخدام أسلحة محظورة دولياً. ففي الصباح الباكر من يوم الثلاثاء، الموافق 8 مارس/ آذار 2016، شنّ تنظيم داعش هجوماً كيميائياً على تازة خورماتو باستخدام قذائف محمّلة بمواد كيميائية؛ مما أسفر عن مقتل طفلين وإصابة المئات بأعراض مختلفة، وبعد ثلاث سنوات من الهجوم، في عام 2019، أُفيد بأن نحو (100) شخص من سكان الناحية أصيبوا بمرض السرطان؛ نتيجة التعرض لتلك المواد الكيميائية.

(1)Elaph. (2009). Politics. Retrieved March 19،2025،from

https://elaph.com/Web/Politics/2009/6/453228.htm

المبحث الثالث

القصف الكيمياوي لناحية تازة خورماتو آثاره وأبعاده

1.3. الأسلحة الكيميائية: المفهوم والتصنيف

تُعرّف الأسلحة الكيميائية بأنها "مواد كيميائية سامّة تُستخدم سلاحاً، بما يشمل جميع المواد والمركّبات السامّة سواء في حالتها الغازية أو السائلة أو الصلبة")1(. ويُعتبر غاز الخردل (Mustard Gas) من أقدم الغازات الحربية المستخدمة تاريخياً؛ إذ يتسبب في حروق جلدية شديدة وتلف الجهاز التنفسي والعينين.

فالأسلحة الكيميائية، هي مركبات كيميائية سامة تستخدم في العمليات العسكرية بهدف القتل أو الإصابة أو تعطيل القدرات البشرية وتصنف بحسب تأثيرها الفسيولوجي إلى عوامل الأعصاب مثل السارين وعوامل التقرح مثل غاز الخردل وعوامل الاختناق مثل الفوسجين وعوامل الدم مثل سيانيد الهيدروجين والمواد المهيجة مثل غاز الفلفل وذلك وفقاً لتصنيفات منظمة حظر الأسلحة الكيميائية (منظمة حظر الأسلحة الكيميائية 1993 OPCW) وموسوعة بريتانيكا (Britannica 2023) (2).

2.3. اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية

تُعتبر اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية لعام 1993 معاهدة دولية تهدف إلى القضاء التام على فئة كاملة من أسلحة الدمار الشامل. تحظر الاتفاقية استحداث وإنتاج وتخزين واستخدام الأسلحة الكيميائية، وتُلزم الدول الأطراف باتخاذ التدابير اللازمة لإنفاذ هذا الحظر على الأشخاص الطبيعيين والاعتباريين ضمن ولاياتها القضائية. بدأت المفاوضات لصياغة هذه الاتفاقية في عام 1980 ضمن مؤتمر نزع السلاح، وتُوِّجت باعتماد النص النهائي في جنيف بتاريخ 3 سبتمبر 1992. فُتح باب التوقيع على الاتفاقية في باريس في 13 يناير 1993، ودخلت حيز التنفيذ في 29 أبريل 1997، بعد أن

(1) منظمة حظر الأسلحة الكيميائية. (1993). النصّ الرسمي لاتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين واستعمال الأسلحة الكيميائية وتدمير تلك الأسلحة.

(2) Encyclopaedia Britannica. (n.d.). Chemical weapon. Britannica. Retrieved March 19،2025،from https://www.britannica.com/technology/chemical-weapon

صدّقت عليها 65 دولة (1). تُعدّ هذه الاتفاقية فريدة من نوعها؛ لكونها تنظم عملية القضاء التام على فئة كاملة من أسلحة الدمار الشامل، وتضع نظام تحقق ملزم. حتى الآن، انضمت (193) دولة إلى الاتفاقية، ما يمثل نحو (٪98) من سكان العالم. وقد تم تدمير أكثر من (٪99) من مخزونات الأسلحة الكيميائية المعلنة بشكل يمكن التحقق منه ولا رجعة فيه. وقد انضمّ العراق إلى اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية لعام 1993. وقّع العراق على الاتفاقية في 12 يناير/ كانون الثاني 2009، ودخلت حيّز التنفيذ بالنسبة له في 12 فبراير 2009 (2).

3.3. داعش واستخدامه للأسلحة الكيميائية والبيولوجية

استندت تقارير دولية عدة إلى أدلّة تؤكد حصول تنظيم داعش على مكوّنات كيميائية لأغراض عسكرية منذ عام 2015، سواء عبر السيطرة على مختبرات كيميائية جامعية في جامعة الموصل أو عبر التهريب من دول مجاورة. في سياق العراق وسوريا، أشارت تقارير أممية إلى تكرار استخدام داعش لسلاح كيميائي في مناطق مختلفة، مثل محافظة حلب في سوريا، وأطراف مدينة الموصل في العراق، استُخدمت في حوالي (37) هجوماً منفصلاً في سوريا والعراق. إلا أنّ هجوم تازة خورماتو يعدّ من بين الأكثر توثيقاً من حيث ضحاياه المدنيين وطبيعة المادة المستخدمة (3).

خلال عملياتها، استخدم تنظيم داعش نوعين أساسيين من العوامل: المواد الكيميائية الصناعية السامة المحوّلة إلى أسلحة، والعوامل الحربية. كان استخدام المواد الكيميائية الصناعية السامة، وخاصة الكلور، دليلاً على استعداد التنظيم وقدرته على التكيف بفعالية مع الموارد التي حصل عليها. وأظهر بوضوح عدم تردد التنظيم في تبني الأسلحة الكيميائية؛ إذ قام باستخدام الأسلحة الكيميائية في مناطق عدة من العراق وسوريا مستعيناً بشكل رئيس بعوامل كيميائية مثل غاز الخردل الكبريتي والكلور في هجمات متعددة استهدفت المدنيين والقوات العسكرية في أغسطس وسبتمبر 2015، وتبعها مجموعة ثانية من الهجمات في فبراير ومارس 2016، بهدف نشر الذعر والتأثير النفسي وزعزعة

(1) United Nations Office for Disarmament Affairs. (n.d.). Chemical Weapons. UNODA. Retrieved March 19،2025،from https://disarmament.unoda.org.

(2) Organisation for the Prohibition of Chemical Weapons. (n.d.). Iraq. OPCW. Retrieved March 19،2025،from https://www.opcw.org/about-us/member-states/iraq

(3) Binder،M. K.،Quigley،J. M.،& Tinsley،H. F. (2018). Islamic state chemical weapons: A case contained by its context?. CTC Sentinel،11(3)،27-31.

الاستقرار في المنطقة وفقاً للتقارير الصادرة عن المنظمات الدولية والأممية المختصة (1) .

4.3. طبيعة المادة الكيميائية المستخدمة في الهجوم

أفادت مصادر محلية وصحفية بأن الهجوم الكيميائي الذي استهدف ناحية تازة خورماتو تم باستخدام غاز الخردل، المعروف علميًا باسم ثنائي كلورو ثنائي إيثيل الكبريت ($C_4H_8Cl_2S$). يُعتبر غاز الخردل من عوامل الحرب الكيميائية التي تُلحق أضرارًا جسيمة بالبشر والبيئة. يتسبب هذا الغاز في حروق كيميائية شديدة للجلد والعينين والأنسجة التنفسية، وقد يؤدي إلى تلف دائم في الجهاز التنفسي وزيادة خطر الإصابة بالسرطان على المدى الطويل)2) . يعمل غاز الخردل من خلال التفاعل مع الحمض النووي (DNA) في الخلايا؛ مما يعطل عملية الانقسام الخلوي ويؤدي إلى موت الخلايا أو حدوث طفرات جينية. عند التعرض له، تظهر الأعراض تدريجيًا، بدءًا من الاحمرار والحكة في الجلد، ثم تتطور إلى بثور مؤلمة وحروق عميقة. عند استنشاقه، يسبب تهيجًا شديدًا في الجهاز التنفسي؛ مما يؤدي إلى السعال وضيق التنفس وتلف الرئتين.

أرسل مختصون عراقيون ودوليون عينات من التربة وبقايا القذائف إلى مختبرات محلية ودولية. جاءت النتائج تؤكد وجود مركبات كيميائية تتطابق مع مشتقات الخردل الكبريتي (Sulfur Mustard). وشاركت في التحليل مختبرات معتمدة وبإشراف فريق من منظمة حظر الأسلحة الكيمياوية وفريق تحقيق (يونيتاد) التي أيّدت هذه النتيجة (3) . وأكدت مديرية بيئة كركوك، باستخدام جهاز F.T.I.R، وفريق الاستجابة السريع (CBRN) التابع لوزارة الداخلية، باستخدام جهاز THERMO FTRX الأمريكي الصنع، وجود غاز الخردل (HD) في الصواريخ التي استُخدمت في الهجوم. كذلك، أكّد فريق فني مختص من مديرية الصنف الكيميائي التابعة لوزارة الدفاع العراقية بوجود مادة غاز الخردل في سبعة صواريخ تم فحصها. وقد وردت هذه المعلومات في التقرير الدوري لممثل الأمين العام للأمم المتحدة في العراق، الصادر في 6 مايو/ أيار 2016.

---

(1) Ryan Browne،"US: ISIS did not use mustard agent in base attack," CNN،September 27،2016.

(2) Nafiseh Kohnavard،"Iraqi town Taza 'hit in IS chemical attack' appeals for help," BBC News،March 25،2016,

(3) الأمم المتحدة، "التقرير الخاص حول الأسلحة الكيميائية في العراق"، نيويورك، 2017.

وكشفت التحقيقات التي تناولت استخدام تنظيم داعش للأسلحة الكيميائية في الهجوم على ناحية تازة خورماتو، عن تسبب هذه الأسلحة في وقوع عدد متزايد من الضحايا المحتملين، إلى جانب أضرار جسيمة لحقت بالممتلكات والبيئة. وقد تضمنت الأدلة الداعمة لهذه النتائج شهادات الشهود، والسجلات الطبية، وبيانات استقبال المرضى في المستشفيات، التي أظهرت علامات وأعراضاً حادة بين الضحايا تتفق مع التعرض لمادة كيميائية. كما لوحظت مضاعفات صحية مستمرة بين السكان المتضررين، شملت انتشار الأمراض المزمنة، وحالات السرطان، بالإضافة إلى تسجيل حالات إجهاض، إملاص (ولادة جنين ميت)، وعيوب خلقية (1) .

5.3.الأبعاد الصحية والنفسية المترتّبة على الهجوم.

الهجوم الكيميائي الذي وقع في ناحية تازة خورماتو باستخدام غاز الخردل خلّف أبعاداً صحية وإنسانية خطيرة تمثلت في "إصابات جسدية شديدة شملت ظهور احمرار في الوجه واليدين مع الحكة المستمرة، وكذلك بثور في الجلد للأشخاص المصابين، فضلاً عن ظهور فقاعات وتقرحات في الجلد بعد مرور يومين من الإصابة، وضيق التنفس والاختناقات في الجهاز التنفسي، واحمرار العينين مع الحكة وإسالة الدموع من العينين، بالإضافة إلى خوف وهلع شديدان، وظهور حالات اختناق بين الأطفال والنساء وكبار السن" (2) .

6.3.الأبعاد البيئية للهجوم

بيئيًا، يتميز غاز الخردل بثباته النسبي في الظروف الطبيعية؛ مما يجعله قادرًا على التسبب في تلوث طويل الأمد للتربة والمياه. يعتمد انتشاره على الظروف الجوية مثل الرياح والرطوبة؛ مما يزيد من تعقيد التعامل معه في حالات الطوارئ.وعلى أثر ذلك شكلت فريق عمل مشترك من مديرية بيئة كركوك ومديرية الدفاع المدني ودائرة حماية وتحسين البيئة في المنطقة الشمالية بموجب الأمر الإداري المرقم (27) في 9/ 3/ 2016 وتم إجراء الكشف الميداني في الناحية وبالتنسيق مع الإدارة المحلية في ناحية تازة خورماتو؛ إذ تم اخذ مسح إشعاعي لتلك المناطق وتبين خلوها من التلوث الإشعاعي، وإنما

---

(1) المصدر: النقطة 13 من التقرير الخاص لفريق يونيتاد الموجه إلى مجلس الأمن والمؤرخ في 26 ايار/ مايو 2022

(2) كتاب اللجنة المشكلة من رئاسة جامعة كركوك في 29/ 3/ 2016 جوابا لكتاب قسم الشؤون الإدارية ذي العدد (7/ 63/ 2719) في 9/ 3/ 2016.

المنطقة ملوثة بعامل كيمياوي سام، وتم إجراء الكشف الميداني لعدد من المنازل والمواقع الملوثة التي تم تطهيرها من قبل فريق الدفاع المدني والصنف الكيمياوي في وزارة الدفاع والقوات الأمريكية بسحب نماذج التربة في هذه المواقع لإجراء الفحوصات المتوفرة في المخبر البيئي المركزي بالإضافة إلى إجراء قياسات تراكيز ملوثات الهواء الغازية وتقييم نوعية الهواء المحيط في المنطقة؛ أكدت النتائج الأولية ارتفاع تراكيز غازي ثنائي أوكسيد النتروجين وثنائي أوكسيد الكبريت، ولوحظ استمرار انبعاث الروائح في المواقع الملوثة؛ إذ تعرض الفريق البيئي إلى حالات التحسس وتعرضهم لمخاطر الإصابة نتيجة ذلك. كذلك سقوط صواريخ مباشرة على خمسة منازل للمدنيين وهم كل من: (محمد أسد، عزمي حسين كاظم، نجف موسى زينل، سليم عادل رضا، مكرم نجاة علي)، وذلك بموجب تقرير حادثة لمديرية الدفاع المدني في كركوك/ مركز الدفاع المدني في ناحية تازة الصادر بالعدد (9) في 18/ 3/ 2016 (1).

7.3. الأبعاد القانونية والدولية للهجوم:

الهجوم الكيميائي في ناحية تازة خورماتو باستخدام غاز الخردل يمثل انتهاكاً صارخاً لاتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية التي دخلت حيز التنفيذ عام 1997 التي تحظر تطوير وإنتاج وتخزين واستخدام الأسلحة الكيميائية وتلزم الدول الأطراف بتدمير مخزوناتها من هذه الأسلحة، ويعتبر هذا الهجوم جريمة حرب بموجب القانون الدولي الإنساني وفقًا لنظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الذي يجرّم استخدام الأسلحة الكيميائية ضد المدنيين؛ مما يفتح المجال لملاحقة المتورطين أمام المحاكم الدولية المختصة، إذ ثبت تورط دول أو أفراد في التخطيط أو التنفيذ أو الدعم لهذا الهجوم، وأن مجلس الأمن الدولي يمتلك صلاحيات إحالة القضية إلى المحكمة الجنائية الدولية بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة في حال عجز السلطات الوطنية عن محاسبة الجناة.

---

(1) تقرير الحادثة الصادر من مديرية الدفاع المدني في كركوك / مركز الدفاع المدني ناحية تازة بالعدد 9 بتأريخ 18/ 3/ 2016.

المبحث الرابع

عرض وتحليل الهجوم الكيميائي في مارس / آذار ٢٠١٦

1.4. تفاصيل الهجوم

وفقاً للتقرير المحلي لمديرية الدفاع المدني العامة في محافظة كركوك التابعة إلى وزارة الداخلية الصادر بموجب كتابها بالعدد (300/ 1780) في 6/ 4/ 2016، أشارت إلى أن الناحية تعرضت بتاريخ 8/ 3/ 2016 ابتداءً من الساعة الرابعة صباحاً إلى قصف بصواريخ محلية الصنع قدر عددها (40 صاروخاً) بمختلف المناطق أدت المقذوفات إلى انبعاث غازات ضبابية تسببت في تهيج العيون والأجهزة التنفسية لدى السكان المتضررين؛ إذ بلغ عدد المصابين في الساعات الأولى من القصف والكشف قرابة (800 شخص) و (14 شخصاً) في حالة صحية حرجة وعدد الوفيات بلغت (3 وفيات). وعند قيام فريق الدفاع (فريق القذائف غير المنفلتة) لإجراء الكشف الميداني على صواريخ ظناً منهم أنها قذائف حربية تقليدية؛ إذ لاحظوا بعد مدة وجود رائحة كريهة منتشرة في الناحية تشبه رائحة الثوم الفاسد إضافة إلى ظهور أعراض للإصابة على عنصرين من الدفاع المدني، ومن الأعراض الأكثر وضوحاً هي احمرار الجلد مع وخز وحكة وتحسس العينين وضيق في التنفس. وبعد انتشار الحالات المماثلة بين الأهالي تم استدعاء فريق الـ (CBRN) المتخصص للتعامل مع العوامل الكيميائية السامة؛ إذ تم ترجيح احتوائها على عناصر كيميائية سامة، وبعد إجراء الكشوفات المختبرية باستخدام جهاز THERMO FTRX)) الأمريكي الصنع، تبين عن وجود عامل كيمياوي سام أبرزه غاز الخردل (HD) في الصواريخ المستخدمة. تم إبلاغ المواطنين بإخلاء المنطقة ضمن دائرة قطرها بحدود (200 متر) من مواقع التلوث. تم جمع عينات بقايا (18 صاروخاً ملوثاً) وقشط كميات من التربة الملوثة لإرسالها إلى مختبرات علمية للفحص والتشخيص(1) .

2.4. ردود الفعل المحلية والدولية

محلياً: استنكر المسؤولون العراقيون الحادثة واعتبروها انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي، وأعلنت الحكومة العراقية المتمثلة بوزارة الصحة والداخلية والدفاع عن خطة طوارئ لمعالجة المصابين، وكما يأتي:

(1) تقرير زيارة فريق من مديرية الدفاع المدني في كركوك، بموجب كتابهم

اعتُبرت ناحية تازة خورماتو منطقة منكوبة من قبل مجلس النواب العراقي في الجلسة (18) في يوم 17/ 3/ 2016، وتم التصويت بأغلبية مطلقة على توصيات تقرير الذي أعدته لجنة حقوق الإنسان النيابية بشأن القصف الكيمياوي للناحية، وفقًا لما ورد في التقرير الصادر عن المجلس (1) .

في أعقاب الهجوم الكيميائي الذي استهدف ناحية تازة خورماتو بمحافظة كركوك، أرسلت المفوضية العليا لحقوق الإنسان فريقًا لتقصي الحقائق؛ إذ قام بزيارة المواقع المتضررة، والتقى بالمدنيين المتضررين والناجين، وسجل إفاداتهم، وزار المصابين في المستشفى الجمهوري ومستشفى آزادي في كركوك، والمركز الصحي في تازة، لتقييم حجم الإصابات الكيميائية. ووفقًا لإحصاءات الفريق، تجاوز عدد الإصابات بين المدنيين (600) حالة، معظمهم من النساء والأطفال، مع تسجيل (31) إصابة خطرة، بالإضافة إلى وفاة طفلة تبلغ من العمر ثلاث سنوات. وتنوعت الإصابات بين تسمم، وإغماء، وضيق في التنفس، وتقرحات جلدية، وحروق شديدة، واحمرار العين، والعمى المؤقت. وأدانت المفوضية استخدام تنظيم داعش للأسلحة الكيميائية، مثل غازي (الخردل والكلور)، في قصف ناحية تازة خورماتو، معتبرة ذلك انتهاكًا صارخًا للقرارات والاتفاقيات الدولية، بما في ذلك قرار الأمم المتحدة لعام 1993، بروتوكول جنيف لعام 1925، واتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية لعام 1993 (2).

دولياً: أدانت الأمم المتحدة وبعض الدول العربية والأجنبية الهجوم الإرهابي على المدنيين التركمان في تازة خورماتو، ودعت إلى التحقيق العاجل. وأرسلت منظمات إنسانية فرقاً للإغاثة، ومنها منظمة حظر الأسلحة الكيماوية وفريق تحقيق UNITAD، وكما يأتي:

واستنادًا إلى الكتاب الصادر عن الحكومة المحلية في ناحية تازة خورماتو بالعدد (329) بتاريخ 3/ 5/ 2016، وبعد المناشدات والمطالبات المقدمة للجهات المعنية، وصلت لجنة من الخبراء تابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية، التي يقع مقرها في جنيف، إلى العاصمة بغداد؛ للإشراف على الفحص المختبري، وتم إرسال عدد من المصابين بالتنسيق مع وزارة الصحة ورئاسة صحة كركوك

(1) PUKmedia.2016. مجلس النواب يصوت على توصيات أحداث تازة. تاريخ الوصول (19.3.2025). https: / /www.pukmedia.com /AR /details /?Jimare=79269

(2) المفوضية العليا لحقوق الإنسان (2016). تقرير إدانة القصف الكيمياوي لناحية تازة خورماتو في محافظة كركوك، المؤرخ في 13.3.2016. https: / /ihchr.iq (تاريخ الوصول: 19.3.2016).

إلى بغداد؛ إذ قامت اللجنة بأخذ عينات للفحص والتشخيص. وبعد مرور عشرة أيام، أكدت المنظمة الدولية لحظر الأسلحة الكيميائية أن المادة التي استُهدفت بها ناحية تازة هي غاز الخردل، وذلك وفقًا للتقرير الذي نشرته المنظمة في وسائل الإعلام والصحف.

نص خطاب الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في العراق السيد يان كوبيش، أمام مجلس الأمن الدولي، في يوم الجمعة، الموافق 6 أيار/ مايو 2016، " (يساورني القلق إزاء التقارير التي تفيد باستخدام داعش للمواد الكيميائية كأسلحة في هجماتها على المدنيين وعلى قوات الأمن، كما حدث مؤخراً في بشير وتازة خورماتو. أني أحض المجتمع الدولي على تأييد التحقيقات الجارية في تلك الحوادث والتي تقوم بها منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، وضمان مساءلة أي شخص ثبت تورطه في استخدام الأسلحة الكيميائية أو تيسير استخدامها) (1) .

3.4. الأبعاد القانونية والدولية للهجوم

- انتهاك اتفاقيات حظر الأسلحة الكيميائية

يشكّل استخدام غاز الخردل في النزاعات المسلحة جريمة حرب بموجب القانون الدولي الإنساني. وباعتبار العراق طرفاً في اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية، فإنَّ داعش، وإن لم يكن كياناً دولياً، يتحمّل مسؤولية جنائية أمام المجتمع الدولي، ويمكن ملاحقة أفراده وفقاً للقوانين العراقية والدولي (2) . أكدت المفوضية العليا لحقوق الإنسان، في 13 مارس 2016، أن استخدام تنظيم داعش الإرهابي للأسلحة الكيميائية والمواد السامة، عبر صواريخ الكاتيوشا المحمّلة بغاز الخردل والكلور، يُعد انتهاكًا صارخًا للقوانين والمواثيق الدولية. وأوضحت أن هذا الفعل يخالف قرار الأمم المتحدة لعام 1993، الذي يحظر استخدام الأسلحة الكيميائية والأنشطة المحظورة خلال النزاعات، بالإضافة إلى انتهاكه لبروتوكول جنيف لعام 1935 الذي حرّم استخدام الغازات الخانقة أو السامة وما يشابهها، وكذلك اتفاقية حظر تصنيع وتخزين واستخدام الأسلحة الكيميائية لعام 1993م(3)

(1) تقرير الأمم المتحدة لمجلس الأمن الدولي، 2016

(2) أبو عيشة، زكريا مصطفى. (2021). تنظيم الأسلحة الكيميائية في ضوء القانون الدولي [رسالة ماجستير منشورة، جامعة القدس، فلسطين]. الرابط: https: //arab-scholars.com /4062e3

(3) المفوضية العليا لحقوق الإنسان (2016). تقرير إدانة القصف الكيمياوي لناحية تازة خورماتو في محافظة كركوك، المؤرخ في 13.3.2016. https: //ihchr.iq (تاريخ الوصول: 19.3.2016).

- جهود المحاسبة والملاحقة القضائية

لأغراض تحقيقية وتوثيقية في المناطق المتضررة من جرائم تنظيم داعش، كثّفت الحكومة العراقية جهودها، بالتعاون مع جهات محلية ودولية، لتوثيق تلك الانتهاكات. تضمنت هذه الجهود إعداد الوثائق والأدلة اللازمة لتقديمها أمام المحاكم الجنائية الوطنية والدولية المختصة بجرائم الحرب، اعتمادًا على شهادات الضحايا وتقارير المنظمات الحقوقية. واستنادًا إلى الفقرة (2) من قرار مجلس الأمن رقم 2379 لسنة 2017، طلبت الحكومة العراقية من مجلس الأمن تشكيل فريق التحقيق التابع للأمم المتحدة لتعزيز المساءلة عن الجرائم المرتكبة من جانب داعش (يونيتاد). وقد كثّف فريق يونيتاد تحقيقاته لتوثيق جرائم داعش في العراق، بما في ذلك استخدام التنظيم للأسلحة الكيميائية والبيولوجية، بالتعاون مع السلطات العراقية والفئات المتضررة. (1).

وفي سياق هذه الجهود، زار المستشار الخاص «كريستيان ريتشر» ناحية تازة خورماتو في 25 فبراير/ شباط 2023؛ إذ التقى بمسؤولين محليين وناجين، من بينهم عائلة الطفلة (فاطمة سمير)، البالغة من العمر خمس سنوات التي توفيت نتيجة للهجوم الكيميائي. وخلال زيارته، اطّلع ريتشر على معاناة الأهالي المستمرة، بما في ذلك الأمراض المزمنة والتهميش الاجتماعي. ورافق ريتشر فريق الدفاع المدني في جولة ميدانية لمواقع تأثرت بالقصف الكيميائي؛ إذ تم استعراض حجم الأضرار وجهود إزالة التلوث رغم صعوبة الظروف ونقص الموارد آنذاك. وفي إطار توثيق تلك الجرائم، زار المستشار الخاص مركز شرطة تازة خورماتو واطّلع على وثائق محكمة التحقيق المرتبطة بالهجوم، مؤكدًا دعم فريق يونيتاد في عملية رقمنة تلك الوثائق لحفظها وفق المعايير الدولية(2) .

---

(1) مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. (2017). القرار 2379 (2017) بشأن محاسبة مرتكبي الجرائم التي ارتكبها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وثائق الأمم المتحدة. متاح عبر الرابط:
https: / /undocs.org /ar /S /RES /2379(2017) (تاريخ الوصول: 11.3.2025)

(2) UNITAD. (2023). Special Adviser Christian Ritscher visits Taza Khurmatu and meets survivors of ISIL chemical attacks. UNITAD. Retrieved March 19،2025،from https://www.unitad.un.org/news/special-adviser-christian-ritscher-visits-taza-khurmatu-and-meets-survivors-isil-chemical

أنهى فريق يونيتاد ولايته رسميًا في العراق، بتاريخ 17 سبتمبر/ أيلول 2024، بموجب قرار مجلس الأمن رقم 2697 لسنة 2023. ووفقًا للفقرة (5) من قرار مجلس الأمن 2379 لسنة 2017، قام فريق يونيتاد بتسليم جميع الأدلة والوثائق المستندية الورقية والإلكترونية إلى السلطات العراقية، ومنها إلى رئيس مجلس القضاء الأعلى السيد فائق زيدان، بما في ذلك ملف الهجوم الكيميائي في ناحية تازة خورماتو. وتضمن الملف تقريرًا شاملًا يوضح نتائج التحقيق في الجريمة التي استهدفت تدمير وإفناء التركمان الشيعة في المنطقة باستخدام أسلحة دمار شامل (1).

4.4. الهجوم الكيميائي على ناحية تازة خورماتو: شهادات الناجين

فيما يأتي مجموعة من شهادات الناجين والمصابين وشهود العيان الذين عايشوا تفاصيل هذه الفاجعة في ناحية تازة خورماتو، بهدف استيضاح تفاصيل الهجوم وآثاره وكما يأتي:

حلمي حمدي علي (47 عاماً)

يروي حلمي حمدي علي تفاصيل الهجوم قائلاً: «في يوم 8 آذار/ مارس 2016، تعرضت ناحية تازة خورماتو لهجوم صاروخي شنه تنظيم داعش الإرهابي باستخدام صواريخ كاتيوشا محملة بمواد سامة ومحرمة دولياً. ووفقاً لتقارير الخبراء آنذاك، فقد كانت هذه الصواريخ محملة بغاز الخردل والكلور؛ إذ سقط نحو (43) صاروخاً على مناطق متفرقة من الناحية، بما في ذلك المنازل السكنية.

عقب القصف، عمّت حالة من الذعر بين السكان بسبب شدة الانفجارات، وسرعان ما انتشرت رائحة غريبة في المنطقة. وبعد ساعات بدأ السكان بالتوجه إلى المركز الصحي في تازة، ومنه إلى مستشفيات كركوك لتلقي العلاج. كانت الأعراض تتراوح بين ضيق التنفس، وحساسية في العين، وطفح جلدي، إلى جانب حروق في الجلد وأعراض أخرى غير مكتشفة حتى اليوم.

ومع مرور الوقت، بدأت تظهر حالات إصابة بالسرطان في المنطقة، وانتشرت حالات الإجهاض بين النساء الحوامل. أنا شخصياً أصبت بانسداد في الفص الأمامي من الرأس، وما زلت أعاني من تبعاته الصحية حتى اليوم. وفقدت المنطقة طفلة تدعى فاطمة، التي لم تتجاوز الرابعة من عمرها، نتيجة تعرضها للغازات السامة.

(1) UNITAD. (2023). UNITAD Hands over Landmark Investigative Report to the Iraqi Judiciary on ISIL's Chemical Weapons Crimes in Iraq. Retrieved March 19، 2025، from https://www.unitad.un.org/ar/Supreme_Council-AR

الناجي جمال قلندر خضر (47 عاماً)

يتحدث جمال قلندر خضر عن تفاصيل الحادثة قائلاً: «في يوم 8 آذار/ مارس 2016، كنت في سواتر بشير عندما بدأت الصواريخ تنهال على الناحية، وكنا في البداية نظن أنها مثل الهجمات المعتادة التي كنا نواجهها بشكل يومي. بعد مرور بضع ساعات، لاحظت سيارات الإسعاف تتجه مسرعة إلى المركز الصحي، فشعرت أن الأمر مختلف هذه المرة.

عند تواصلي مع أحد العاملين في المركز الصحي، أكد لي أن معظم الحالات التي استقبلوها تعاني من ضيق في التنفس، وحرقة في الجلد، وحساسية حادة. لاحقاً، وبعد إجراء التحاليل والفحوصات، تأكد أن الهجوم كان باستخدام غاز الخردل السام. حتى اليوم، لا يزال سكان المنطقة يعانون من مضاعفات هذا الهجوم المأساوي.

الناجي محمد عباس جمعة (44 عاماً)

يروي محمد عباس جمعة، الذي كان يشغل منصب مدير بلدية تازة خورماتو آنذاك، تفاصيل الهجوم قائلاً:

في يوم 9 آذار/ مارس 2016، تعرضت الناحية لقصف عشوائي بأسلحة كيميائية. بعد انتهاء القصف، تلقيت اتصالاً من مديرية الدفاع المدني ومدير الناحية يطلبان تجهيز آليات ثقيلة مثل الشفل والقلاب للتعامل مع الأضرار؛ إذ ظنوا في البداية أن القصف كان تقليدياً.

أثناء تواجدي في دائرتي، تلقيت اتصالاً من زوجة أخي الأكبر تخبرني بأن منزلهم تعرض لقصف مباشر. عند وصولي إلى المنزل، وجدت تجمعاً كبيراً من الأهالي، وكان الصاروخ قد سقط في كراج المنزل، تاركاً بقعاً سوداء طرية على السقف، مع انتشار رائحة غريبة تشبه رائحة البلاستيك المحترق.

سرعان ما بدأت أعراض ضيق التنفس تظهر بين السكان. وأثناء نقل ابنة أخي الصغيرة، التي كانت تبلغ من العمر (3) سنوات، إلى المستشفى، اكتشفنا وجود أعداد كبيرة من المصابين بحالات اختناق. تأكدنا لاحقاً من أن الهجوم كان باستخدام أسلحة كيميائية محرمة دولياً، ما أدى إلى سقوط عدد من الضحايا، واستمرت معاناة السكان من آثاره حتى اليوم.

الناجي فاضل حسين مضراب (61 عاماً)

يروي فاضل حسين مضراب ما حدث قائلاً: "تعرضت ناحية تازة خورماتو في 8 آذار/ مارس 2016 لهجوم كيميائي بغيض باستخدام غاز الخردل السام، أطلقه تنظيم داعش الإرهابي من قصبة بشير، التي كانت تحت سيطرتهم منذ عام 2014.

أسفر الهجوم عن سقوط العشرات من الضحايا والمصابين، معظمهم من النساء، والأطفال، وكبار السن. وقد تركزت آثار القصف في مناطق مقبرة تازة، وحي العسكري، ومحلة خنكار. في عائلتنا، أصيب عدد من الأشخاص بحكة شديدة في الجلد وضيق في التنفس، ما اضطرنا لنقلهم إلى تركيا لتلقي العلاج.

نطالب الحكومة المركزية بالنظر في تعويض العوائل المتضررة جراء هذا القصف الإرهابي، والإسراع في إعمار المناطق المتضررة في الناحية ضمن تخصيصات المناطق المنكوبة.»

الناجي أحمد موسى زين العابدين (59 عاماً)

يوضح أحمد موسى زين العابدين، مدير المركز الصحي في تازة، تفاصيل الهجوم قائلاً: في يوم 8 آذار/ مارس 2016، وفي حدود الساعة الرابعة عصراً، تعرضت ناحية تازة لهجوم مكثف بأكثر من أربعين صاروخاً. كنا معتادين على القصف اليومي في تلك الفترة، لذلك ظننا في البداية أن الأمر طبيعي.

بينما كنت في طريقي إلى العيادة، لاحظت أن منزل جيراننا تعرض لقصف بصاروخ لم ينفجر. عند تفقد المكان، رأيت مادة سوداء كثيفة تنتشر في الموقع، وكان ينبعث منها رائحة كريهة تشبه رائحة الثوم أو البيض الفاسد، ما تسبب في تهيج شديد في المجاري التنفسية.

بعد وقت قصير، بدأت حالات الإصابة تظهر بين السكان؛ إذ وصل إلى المركز الصحي العديد من الأشخاص وهم يعانون من اختناق، وحروق جلدية، وحساسية حادة في العين والجهاز التنفسي. لاحقاً، تأكدت الفحوصات أن هذه الأعراض ناجمة عن تعرض السكان لغاز الخردل السام.

الناجية إخلاص حيدر أكبر (50 عاماً)

تصف إخلاص يوم الحادثة قائلةً: في يوم 8 آذار/ مارس 2016، وفي حوالي الساعة الرابعة عصراً، سمعت صوت انفجار توقعنا في البداية أنه قصف عادي بمدافع الهاون كما كنا معتادين. لكن سرعان ما اكتشفنا في اليوم التالي أن القصف كان باستخدام غاز الخردل؛ إذ بدأ الأهالي يتوافدون إلى المركز الصحي أفواجاً وهم يعانون من أعراض مختلفة، أبرزها ضيق التنفس، وتهيج الجلد، والتهابات في العين والمجاري التنفسية. ما عشناه في ذلك اليوم لا يمكن وصفه ببضع كلمات.

الناجي موسى علي كوثر (56 عاماً)

أشار موسى إلى أن الهجوم كان مفاجئاً رغم اعتيادهم على القصف المستمر قائلاً: «في يوم الهجوم، تعرضت الناحية لقصف بحوالي (40) صاروخاً أو أكثر، وهو أمر كنا معتادين عليه نظراً لتكرار القصف. في ذلك اليوم، كنت في منزلي عندما سقط صاروخان على منزل جيراننا. لم ينفجر الصاروخان، لكنهما خلفا رائحة كريهة تشبه رائحة البيض الفاسد. في البداية لم نشعر بخطورة الوضع، ولكن بعد نقل المصابين إلى المركز الصحي، اتضح بعد الفحوصات أن هذه الصواريخ كانت تحمل غاز الخردل والكلور».

الناجي أحمد فارس داود (22 عاماً)

يستذكر أحمد تفاصيل القصف قائلاً: «في حوالي الساعة الرابعة عصراً، انهالت علينا صواريخ عديدة، قدّرت بأربعين صاروخاً أو أكثر. كان القصف أحياناً يستهدف مناطق عشوائية وأحياناً أخرى مناطق محددة. لاحظنا أن الصواريخ كانت تنبعث منها رائحة كريهة في مكان سقوطها، ما أدى إلى حالات اختناق بين كبار السن ومرضى الربو وأمراض الجهاز التنفسي، إلى جانب إصابات بحروق في الجلد وحساسية شديدة في العين».

الناجية زهراء خضر عباس (35 عاماً)

تصف زهراء مشاهداتها يوم الحادثة قائلةً: «عند الساعة الرابعة عصراً، سمعت صوت سقوط صواريخ على الناحية، وبدأت رائحة كريهة بالانتشار في الأرجاء، تسببت في تهيج المجاري التنفسية. لاحقاً، سمعنا عن حالات اختناق وحروق جلدية بين السكان. اكتشفنا بعد ذلك أن القصف كان باستخدام صواريخ تحمل غاز الخردل، ما خلف أضراراً صحية كبيرة بين الأهالي».

الناجي محمد علي مهدي (35 سنة)

وفقاً لشهادة الناجي السيد محمد علي مهدي، الذي كان شاهداً مباشراً على الحادثة بعد الاستفسار منه حول تفاصيل الحادثة التي وقعت في الناحية، إن الهجوم وقع قرابة الساعة الرابعة عصراً؛ إذ تعرضت الناحية لقصف مكثف بالصواريخ والمقذوفات. ما لفت انتباهه في تلك اللحظات أن هذه المقذوفات، على الرغم من وقوعها بالقرب من المناطق السكنية، لم تصدر صوت انفجار قوي كما هو معتاد، بل كان صوتها مختلفاً. هذا الأمر أثار شكوكه، إلا أن ما زاد من قلقه هو انتشار رائحة كريهة في المنطقة تُشبه رائحة الثوم الفاسد. وأشار مهدي، إلى أنه بادر فوراً بالتواصل مع مديرية الصنف الكيماوي في وزارة الدفاع، مستنداً في ذلك إلى معرفته السابقة بمسؤولي هذه المديرية خلال زيارة سابقة للمنطقة عندما تعرضت مواقع عسكرية في الساتر الأمامي لضربة بغاز الكلور. وأوضح أنه شرح للسيد مدير الصنف الكيماوي ما لاحظه في المنطقة، فطلب منه الأخير التوجه إلى أحد المواقع التي سقط فيها أحد الصواريخ، مع التأكيد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة. وعند وصوله إلى الموقع، عاين الناجي محمد علي مهدي، المقذوف عن بُعد، وأفاد مدير الصنف الكيماوي بأن المادة التي تسربت منه كانت بلون يشبه الإسفلت السائل. بناءً على هذه الملاحظة، أوصى مدير الصنف الكيماوي بضرورة إخلاء السكان من الناحية على الفور، نظراً لوجود مؤشرات مبدئية على أن المادة المستخدمة قد تكون غاز الخردل. استجابةً لهذه التحذيرات، قام الناجي بتعقيم جسده وتغيير ملابسه على الفور، ثم أخرج عائلته من المنطقة متوجهاً إلى مركز مدينة كركوك. ومع ذلك، سرعان ما بدأت تظهر عليه أعراض مقلقة؛ إذ شعر بحكة وحرقة في البلعوم. تزامن ذلك مع تدفق أعداد كبيرة من السكان إلى المركز الصحي وهم يعانون من أعراض مشابهة، ما أدى إلى حالة من الفوضى والارتباك في المنطقة، إذ لم يكن الأهالي على دراية بطبيعة ما يجري. وفي وقت لاحق، وبعد إجراء الفحوصات اللازمة وأخذ عينات ومسحات من المواقع الملوثة والسكان المصابين، أكدت مديرية دفاع مدني كركوك أن المادة المستخدمة في القصف كانت بالفعل غاز الخردل. وأشار مهدي، إلى أن السيد مدير الناحية أكد له لاحقاً أن المعلومات التي أبلغه بها عقب الحادثة كانت دقيقة، رغم أنها بدت في البداية غير متوقعة.

الناجي أحمد محمد علي (35 عاماً)

يسرد أحمد شهادته قائلاً: «في يوم 8 آذار/ مارس 2016، قامت عصابات داعش التكفيرية بقصف ناحية تازة بأكثر من 50 صاروخاً محملاً بمواد سامة من نوع غاز الخردل. أصيب معظم سكان الناحية بأعراض خطيرة مثل حرقة في البلعوم، وتهيج في العينين، واضطرابات نفسية. تلقينا تعليمات بعدم مغادرة المنازل حفاظاً على سلامتنا. للأسف، أدى الهجوم إلى استشهاد الطفلة فاطمة، كما سجلت العديد من حالات الإجهاض بين النساء بسبب الخوف وتأثير المواد السامة، ومن بينهنّ زوجتي التي فقدت جنينها. كانت تلك الأيام عصيبة جداً علينا جميعاً».

الناجي إبراهيم حسن علي (42 عاماً)

يروي إبراهيم تجربته مع الحادث قائلاً: «كنت جالساً في المنزل عندما سمعت سقوط عدة صواريخ على المنطقة. بعد نصف ساعة تقريباً، شعرت بحرقة شديدة في البلعوم، وعند مراجعتي للمركز الصحي، لاحظت أن العديد من الأهالي يعانون من نفس الأعراض. أكد لنا الأطباء بعد الفحص أن هذه الأعراض ناتجة عن تعرضنا لغاز الخردل السام، وحذرونا من مغادرة المنازل لتجنب تدهور حالتنا الصحية».

وبناء على ما تقدم، تكشف هذه الشهادات حجم المأساة التي تعرض لها سكان ناحية تازة خورماتو جراء الهجوم الكيميائي الذي نفذه تنظيم داعش. فقد أدت هذه الجريمة إلى سقوط ضحايا بين السكان، وانتشار حالات صحية خطيرة، كان أبرزها ضيق التنفس، وحرقة في المجاري التنفسية، وحروق جلدية، إضافة إلى تسجيل حالات وفيات وإجهاض وانتشار الأمراض المزمنة في المنطقة. ويظهر ما رواه الناجون معاناة مستمرة تستدعي اهتمام الجهات المختصة لتعويض المتضررين وإعادة تأهيل المناطق المتضررة في الناحية.

التوصيات

استناداً إلى نتائج البحث التي تناولت الهجوم الكيميائي على ناحية تازة خورماتو عام 2016، وما ترتب عليه من آثار صحية وإنسانية وبيئية خطيرة، فإن الباحثين يوصيان بما يأتي:

1- إنشاء مراكز متخصصة لعلاج آثار الأسلحة الكيميائية، مع توفير الدعم النفسي والاجتماعي للأفراد والعائلات المتضررة، نظراً للصدمة النفسية التي تعرضوا لها.

2- تشكيل لجنة تحقيق متخصصة بإشراف الأمم المتحدة لمتابعة هذه الجريمة وتوثيقها بما يضمن محاسبة الجناة وفق القانون الدولي.

3- إعداد سجل وطني يوثق بالتفصيل جميع ضحايا الهجوم وآثاره الصحية والاجتماعية والاقتصادية لضمان حقوقهم المستقبلية.

4- تخصيص ميزانية خاصة من قبل الحكومة العراقية لإعادة إعمار المناطق المتضررة، بما في ذلك تعويض العائلات المتضررة عن الأضرار الصحية والمادية التي لحقت بهم. فضلاً عن تقديم تعويضات عادلة للمتضررين، بما يشمل ذوي الضحايا وأصحاب الممتلكات المتضررة.

5- تدريب كوادر الدفاع المدني، الأجهزة الأمنية، والعاملين في القطاع الصحي على كيفية التعامل مع حالات الطوارئ الكيميائية.

6- تزويد المؤسسات الصحية والمراكز الأمنية بمعدات الكشف المبكر عن المواد الكيميائية السامة، وتدريب الفرق الميدانية على استخدامها بفعالية.

7- دعوة المنظمات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية (WHO) ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية (OPCW)، لتقديم الدعم الفني والطبي في عمليات العلاج والتوعية والتدريب.

8- مطالبة المجتمع الدولي بمحاسبة المسؤولين عن هذا الهجوم وفق الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحظر استخدام الأسلحة الكيميائية.

9- إجراء دراسات علمية معمّقة حول تأثير المواد الكيميائية التي استُخدمت في الهجوم على التربة والمياه الجوفية في المنطقة، مع تنفيذ برامج تطهير بيئي للحد من التلوث وآثاره المستقبلية.

10-إدراج هذه الجريمة ضمن ملفات الانتهاكات الإنسانية التي تعرض لها العراق، والعمل على تعزيز آليات العدالة الانتقالية لضمان محاسبة الجناة وإنصاف الضحايا.

الخاتمة

إن استخدام تنظيم داعش لغاز الخردل في ناحية تازة خورماتو بمحافظة كركوك يُبرز التهديد الكبير الذي تمثله الجماعات الإرهابية عند امتلاكها أسلحة الدمار الشامل، ومدى تأثير ذلك على الأمن المحلي والدولي. تؤكد هذه الدراسة أهمية تبني استراتيجيات شاملة لمواجهة هذه الظاهرة، بدءًا من تعزيز الرقابة على المواد الكيميائية المستخدمة في تصنيع الأسلحة، مرورًا بتطوير البنية التحتية الصحية لمعالجة الضحايا، وصولًا إلى تفعيل آليات المساءلة الجنائية لضمان تحقيق العدالة.

يسلط البحث الضوء على الهجوم الكيميائي الذي استهدف ناحية تازة خورماتو في 8 مارس 2016؛ إذ استخدم تنظيم داعش صواريخ محملة بمواد كيميائية سامة، مثل غاز الخردل والكلور؛ مما أدى إلى وقوع أضرار جسيمة على المستويين الإنساني والبيئي. استندت الدراسة إلى شهادات موثقة من الناجين وتقارير رسمية صادرة عن جهات مختصة، مثل مديرية الدفاع المدني في كركوك ومديرية الصنف الكيميائي في وزارة الدفاع العراقية.

تُظهر الشهادات أن الهجوم وقع في ساعات العصر واستهدف مناطق سكنية؛ إذ لاحظ السكان روائح غريبة تشبه الثوم الفاسد أو البيض العفن؛ مما أثار الشكوك حول استخدام مواد كيميائية. وأكدت الفحوصات المخبرية لاحقًا وجود غاز الخردل والكلور في الصواريخ المستخدمة، وهما من الغازات المحظورة دوليًا.

ختامًا، تُعد مأساة تازة خورماتو مثالًا مأساويًا على العواقب الوخيمة لاستخدام الأسلحة الكيميائية؛ مما يستدعي تضافر الجهود الدولية والمحلية لضمان تحقيق العدالة، تعويض الضحايا، ومنع تكرار مثل هذه الكوارث الإنسانية في المستقبل.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

1- أبو عيشة، زكريا مصطفى. (2021). تنظيم الأسلحة الكيميائية في ضوء القانون الدولي [رسالة ماجستير منشورة، جامعة القدس، فلسطين].الرابط: https: / /arab-scholars. com /4062e3

2- ساعتجي، صبحي.2010. القبائل والعشائر التركمانية في العراق ومناطق سكناهم. مؤسسة وقف كركوك، الطبعة الأولى، العراق، كركوك .

3- طه باقر، فؤاد سفر.1965.المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الخامسة: بغداد، كركوك، السليمانية.

4- فلاح يزاراوغلو. 2009. "ناحية تازة خورماتو مدينة البساتين الكروم والزيتون". مجلة قارداشلق، العدد 42، نيسان، حزيران 2009 .

التقارير:

5- تقرير الأمم المتحدة لمجلس الأمن الدولي، 2016

6- تقرير الأمم المتحدة، "التقرير الخاص حول الأسلحة الكيميائية في العراق"، نيويورك، 2017.

7- تقرير الحادثة الصادر من مديرية الدفاع المدني في كركوك / مركز الدفاع المدني ناحية تازة بالعدد 9 بتأريخ 18/ 3/ 2016.

8- التقرير الخاص لفريق يونيتاد الموجه إلى مجلس الأمن والمؤرخ في 26 أيار/ مايو 2022

9- تقرير زيارة فريق من مديرية الدفاع المدني في كركوك، بموجب كتابهم

10- كتاب اللجنة المشكلة من رئاسة جامعة كركوك في 29/ 3/ 2016 جوابا لكتاب قسم الشؤون الإدارية ذي العدد (7/ 63/ 2719) في 9/ 3/ 2016.

11- مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. (2017). القرار 2379 (2017) بشأن محاسبة مرتكبي الجرائم التي ارتكبها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وثائق الأمم المتحدة. متاح عبر الرابط: https: / /undocs.org /ar /S /RES /2379(2017) (تاريخ الوصول: 11.3.2025)

12- مجلس النواب يصوت على توصيات أحداث تازة (2016).. تاريخ الوصول (19.3.2025). https: / /www.pukmedia.com /AR /details /?Jimare=79269

13- المفوضية العليا لحقوق الإنسان (2016). تقرير إدانة القصف الكيمياوي لناحية تازة خورماتو في محافظة كركوك، المؤرخ في 13.3.2016. https: / /ihchr.iq (تاريخ الوصول: 19.3.2016).

14- المفوضية العليا لحقوق الإنسان (2016). تقرير إدانة القصف الكيمياوي لناحية تازة خورماتو في محافظة كركوك، المؤرخ في 13.3.2016. https: / /ihchr.iq (تاريخ الوصول: 19.3.2016).

15- منظمة حظر الأسلحة الكيميائية. (1993). النصّ الرسمي لاتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين واستعمال الأسلحة الكيميائية وتدمير تلك الأسلحة.

ثانياً: المصادر الأجنبية

1- Binder، M. K.، Quigley، J. M.، & Tinsley، H. F. (2018).

2- Islamic state chemical weapons: A case contained by its context?. CTC Sentinel، 11(3)، 27-31.

3- Elaph. (2009). Politics. Retrieved March 19، 2025، from https: / /elaph.com / Web /Politics /2009 /6 /453228.htm

4- Encyclopaedia Britannica. (n.d.). Chemical weapon. Britannica. Retrieved March 19، 2025، from https: / /www.britannica.com /technology /chemical-weapon

5- Nafiseh Kohnavard، "Iraqi town Taza 'hit in IS chemical attack' appeals for help" BBC News، March 25، 2016

6- Ryan Browne، "US: ISIS did not use mustard agent in base attack" CNN، September 27، 2016.

7- United Nations Office for Disarmament Affairs. (n.d.). Chemical Weapons. UNODA. Retrieved March 19، 2025، from https: / /disarmament.unoda.org.

8- Organisation for the Prohibition of Chemical Weapons. (n.d.). Iraq. OPCW. Retrieved March 19، 2025، from https: / /www.opcw.org /about-us /member-states /iraq

9- UNITAD. (2023). Special Adviser Christian Ritscher visits Taza Khurmatu and meets survivors of ISIL chemical attacks.

10- UNITAD. Retrieved March 19، 2025، from https: / /www.unitad.un.org / news /special-adviser-christian-ritscher-visits-taza-khurmatu-and-meets-survivors-isil-chemical

11- UNITAD. (2023). UNITAD Hands over Landmark Investigative Report to the Iraqi Judiciary on ISIL's Chemical Weapons Crimes in Iraq. Retrieved March 19، 2025، from https://www.unitad.un.org/ar/Supreme_Council-AR